# شرح

# كشف الشبهات

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

شرح فضيلة الشيخ

محمد ابن عبد اللّٰه المالكي

قَالَ المُصنف رَحِمَهُ اللهُ:

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هٰذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لَا يُشْرِكُونَ وَلَا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ أَوِ الأَوْلِيَاءَ أَوِ الأَوْثَانَ مَعَ اللهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ للهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [العنكبوت]، وقوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:٤٠] .

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزُّمر:٨] الآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [لقمان:٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ؛ وَهِيَ أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ، ولكن أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟!، واللهُ المُسْتَعَانُ.

وَالأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ؛ إِمَّا نَبِيًّا، وَإِمَّا وَلِيًّا، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وَأَشْجَارًا مُطِيعَةً للهِ تَعَالَى لَيْسَتْ بِعَاصِيَةٍ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ مِنَ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ وَالَّذِي لَا يَعْصِي - مِثْلِ الخَشَبِ وَالحَجَرِ -؛ أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وفَسَادَهُ وَيَشْهَدُ بِهِ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول: (فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ) ما هو؟ أنهم يقولون: بأن الأولياء يجوز التوجه لهم، وأن هذا مما دل عليه القرآن ودعا إليه القرآن، هكذا يسمون الشيء بضده الشرك يُسمونه الاعتقاد، يقصدون الاعتقاد الصحيح، لا مُجرد الاعتقاد، يقول: هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، مع أنهم يقرؤون القرآن وهو واضح الدلالة، وقاتل رسول الله ﷺ عليه، وإلا لو سُئلوا: لماذا قاتل النبي ﷺ قريشًا؟ لأنهم كانوا يدعون أُناسًا صالحين مثل اللات، ويدعون أحجارًا مثل هُبل والعزى.. وكذا.

**ولماذا قاتل أهل دومة الجندل؟** لأنهم كانوا نصارى يدعون عيسى بن مريم وهو نبي.

**ولماذا قاتل اليهود؟** لأنهم يدعون عزيرًا وهو أيضًا نبي... وهكذا.

لكنهم جعلوا هذا الذي هم يفعلونه هو عين التوحيد، وهو الاعتقاد الصحيح في ظنهم، مع أن الله أخبرنا بأن هؤلاء كفار، وأخبرنا أن النبي ﷺ قاتل كل هؤلاء وأمره الله، وأمر المؤمنين بقتالهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣]. إن انتهوا عن قولهم هذا أن هؤلاء الأولياء أو هؤلاء الأصنام أو هؤلاء المعبودات أنها تُقرب إلى الله زلفى، ما قالوا: أن آلهتهم تستحق، لكنهم قالوا: بأنها تُقربهم إلى الله زُلفى.

ويقول ربنا ﷻ كما في الأنفال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، يعني لا يصلح أن يكون منه شيء لغير الله.

إذًا الرسول ﷺ قاتل كل مَن جعل الدين لغير الله قاتلهم، قاتل اليهود قاتل النصارى، قاتل مشركي العرب، وأصحابه من بعده قاتلوهم، عمر رضي الله عنه قاتل الفرس عُباد النار، وأرسل الجيوش وفتحوا الأمصار التي كان يسكنها نصارى يعبدون المسيح، ووثنيون يعبدون الأشجار والأحجار، فقاتلهم جميعًا.

قال: (فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ) هو كله شرك وكله في النار، لكنَّه أخف من شرك أهل زماننا

الذين يزعمون أنهم هم المؤمنون الموحدون –هكذا يزعمون- يقولون: نحن نقول: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ونصوم ونُصلي ونحج، ونُخرج الزكاة، عجيب إذًا هم يتصورون أنهم بهذه الأعمال المعدومة بمعتقدهم يظنون أنهم هم خير الناس، لأنهم أتوا بهذه الأعمال، والإنسان لو عبد الله ألف سنة وهو على شركٍ ما نفعه ذلك، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] إذًا لابد من إخلاص العبادة لله.

قال: (فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمْرَيْنِ) بسببين، هذان السببان هما ما جعلنا نقول هذا الكلام، ما هما:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لا يُشْرِكُونَ وَلا يَدْعُونَ المَلائِكَةَ أَوِ الأَوْلِيَاءَ أَوِ الأَوْثَانَ مَعَ اللهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ للهِ)، لكن في وقت الرخاء يُشركون بالدعاء بالنذر بالذبح لمعبوداتهم سواءً كانت ملائكة أو كانوا أولياء أو أوثان أي شيء يُعبد من دون الله، كانوا لا يُشركون مع الله إلا في وقت الرخاء، ما هناك كوارث، أما في الشدة فيُخلصون لله الدعاء، لماذا؟ لعلمهم أنه لا يُنجي إلا الله، وأن تلك المعبودات لا تستطيع أن تصنع شيئًا لأنفسها فضلًا عن أن تصنع لهم، ولهذا قال الله ﷻ كما في سورة الإسراء: (﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾) كاف الخطاب هنا موجهة للكفار كفار قريش: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾) الضر في البحر من أمواجٍ ورياحٍ إذا أصابتكم ماذا تصنعون؟ قال: (﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾) يعني اللات والعزى وهُبل أيًا كان يتوقفون عن دعائهم، (﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾) أي الله جل وعلا، (﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾) يعني أمر السفينة ألا تغرق، وأمر أن توصلهم إلى البر، فلما وصلوا إلى البر، قال: (﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾) أي أعرضتم عن توحيد الله ورجعتم إلى الشرك، (﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [العنكبوت]) مُبالغة كثير الكفر يعني يتوب ويكفر ويتوب ويكفر كثير الكفر، أو شديد الكفر من حيث النَّوع، لأن الكفر أنواع:

قال: (وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ﴾) هذه رؤيا قلبية، (﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾) افرضوا أنه جاءكم الآن عذاب الله؟ لنفرض أن الآن جاءكم عذاب الله، أو أتتكم الساعة يعني بغتة وأنتم لا تشرعون، ماذا تفعلون؟ (﴿أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾) الجواب: لا، لأنهم دائمًا في الشدة لا يدعون إلا الله، قال: (﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾) أي الله وحده هو من تدعونه في الشدة، لماذا؟ لعلمكم أن هذه لو كانت تنفع لنفعت نفسها، ولو كانت تمنع لمنعت نفسها من الموت أن تكون مُجندلة تحت التراب، قال: (﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾) يعني الداعي يدعي، فإذا شاء الله ﷻ آتاه سؤله، أو ادَّخره له ليوم القيامة، أو صرف عنه بمقداره من السوء الأكثر منه، أو أنه آتاه ما هو خيرٌ من ذلك.

قال: (﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠]) يعني في وقت الضر هناك تنسون ما تُشركون، ليس دائمًا أبدًا لا، لكن في تلك الحال لما أصابكم الضر تنسون هنا يعني تذهلون عنها تنصرفون عنها لا تأتونها كما كنتم تأتونها في أوقات الرخاء، حتى لو أن إنسانًا دعاكم قال: ائتوا إلى الأصنام أو الأوثان، أو كذا أو الصالحين سيقولون: لا، لا نذهب إلا إلى الله، لماذا؟ ليس لكونهم موحِّدين، لكن لكونهم يعلمون أنه لن يُنجيهم حقًا إلا الله سبحانه وتعالى.

وقوله: (﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾) بمعنى جاءته مُصيبة مرض فقد عزيز ما شابه ذلك فقد مال، (﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾) أي مُخلصًا رجّاعًا توابًا مُظهرًا للندم قال: (﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾) (ضرٌ) نكرة يعني أي ضر دق أو جلَّ، (﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾) ليس المقصود بربه الذي اتخذه هو، لا، وإنما ربه الذي ربَّاه وربى جميع العالمين، وخلقه ورزقه ورعاه، هذا هو المقصود بـ(الرب) هنا. (﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾) بمعنى راجعًا عائدًا تائبًا إلى الله، يعني من الإنابة وهي الرجوع مع الانكسار والتذلل.

قال: (﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾) (خوَّله) بمعنى أعطاه آتاه نعمةً منه، يعني أزال عنه الضر ورزقه (﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ﴾) نسي دعاءه الله تجاهله، وأعرض عن ذلك، لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه:١٢٤-١٢٦]. أتتك آياتنا فأعرضت عنها، لم

تتعلمها، (وكذلك اليوم) يعني في ذلك اليوم تُنسى، يعني الله ﷻ يُعرض عنك.

قال: (﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾) يعني من تلك الأوثان التي كان يشرك بها، والأضرحة والقبور والصالحين نسيهم في ذلك الموقف، (﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾) ربما هو لا يقول هذه الأنداد لله يعني النِّد هو المثيل تمامًا في كل شيء من كل وجه، يعني هو لا يقول: أن هؤلاء الملائكة مثيلون لله، لكن يدعوهم من دون الله في رخائهم.

قال: (﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾) يعني الأولياء والأوثان نسيها في ذلك الموقف ما في إلا الله.

(﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾) يعني هناك لما مسَّه الضر دعا الله مُخلصًا، فلما أعطاه الله ﷻ نعمة رفع عنه الدين ماذا جرى بعدما خوَّله نعمةً منه؟ نسي هذا الإخلاص والدعاء وعاد إلى الشِّرك، نسي ما كان يدعو إليه من قبل، يعني نسي ما كان يدعو إليه من قبل يعني نسي الإخلاص الذي كان عليه في وقت الشدة، رفض أن يدعو الأوثان والأصنام، ولم يدع إلا الله، لعلمه أنه لا يستطيع أن يرفع هذا البلاء إلا الله، فاسترضاه بالدعاء، والله يُحب من عبده أن يدعوه ويتذلل له، قال جل وعلا: (﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزُّمر:٨] الآيَة) ما هو الكفر هنا؟ تشريك دعاؤه غير الله هذا كفرٌ، والكفر: من كفر أي غطَّى، فهو غطَّى ما في قلبه من حق بهذا اللباس لباس الباطل.

قال: (﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزُّمر:٨]) يعني الخالدين فيها.

وقوله: (﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان:٣٢]). فالله ﷻ يُبين حال هؤلاء المشركين، فيقول سبحانه وتعالى: (﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾) (كالظلل) يعني كالجبال، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ [الأعراف:١٧١]، ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ [البقرة:٥٧] يعني جعلناه يكون ظِلًا عليكم.

يقول رحمه الله: (فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَها اللهُ في كِتَابِهِ؛ وَهِيَ أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ) متى؟ في وقت السعة (فِي الرَّخَاءِ) ليس في وقت الشدة (وَأَمَّا فِي

الشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ) وهذا كفار قريش الذين قاتلهم رسول الله ﷺ، فإذا كانوا في الرخاء أشركوا، وإذا جاءوا في الشدة أخلصوا.

الذين ينتسبون إلى الإسلام من عُباد القبور هؤلاء الآن رؤي منهم العجب حتى في غاية الشدة يدعون أولياءهم من دون الله، وهم يعلمون أنها لنْ تمنع منهم الضر، ولن توصل إليهم نفع.

قال: (وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ) المقصود بهم الذين عبدوهم من دون الله، ولذلك سماهم سادات لأن السيد له القهر والغلبة على من تحت يده، ولهذا قال النبي ﷺ: «إنَّما السيِّد الله»، ولا يتعارض هذا مع قوله: «أنا سيد ولد آدم» لأن هذا محصور في سيادة الرفعة بين المجموعة لا سيادة القهر والنصر، وإنما سيادة الرِّفعة بين المجموعة.

قال: من فهم هذه المسألة فهمًا صحيحًا: (تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا) القائم على الشرك في الرخاء والشدة، (وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ) القائم على الشرك في الرخاء والإخلاص في الشدة.

ثم قال: (ولكن أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هٰذِهِ المَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟!) هذا اليوم يكون نادر جدًا وصعب، (واللهُ المُسْتَعَانُ).

ولعلنا نقف هنا.